

الخصائص

باب في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد .

اعلم أن هذا موضع قد استعملته العرب واتبعها فيه العلماء . والسبب في هذا الاتساع أن المعنى المراد مُفاد من الموضوعين جميعا فلما آذنا به وأدنا إليه سامحوا أنفسهم في العبارة عنه إذ المعانى عندهم أشرف من الألفاظ . وسنفرد لذلك بابا .
فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن : أنه سأل أعرابيا عن تحقير الحبارى فقال : حبرور . (وهذا جواب من قصد الغرض ولم يحفل باللفظ إذ لم يفهم غرض أبى الحسن فجاء بالحبرور لأنه فرخ الحبارى . وذلك أن هذا الأعرابي تلقى سؤال أبى الحسن بما هو الغرض عند الكافة في مثله ولم يحفل بصناعة الإعراب التي إنما هي لفظية ولقوم مخصوصين من بين أهل الدنيا أجمعين . ونحو من ذلك أنى سألت الشجرى فقلت : كيف تجمع المحر نجم فقال : وأيش فرقة حتى أجمعه ! وسألته يوما (فقلت) : كيف تحقر الدمكمك فقال : شخيت . فجاء بالمعنى الذي يعرفه هو ولم يراع مذهب الصناعة .

ونحو من هذا ما يحكى عن أبى السمال أنه كان يقرأ : (فحاسوا خلال الديار) فيقال له : إنما هو فحاسوا فيقول : جاسوا وحاسوا واحد . وكان أبو مهدية إذا أراد الأذان قال :
ا أكبر مرتين أشهد أن لا إله إلا ا مرتين ثم كذلك إلى آخره . فإذا قيل له : ليست السنة كذلك إنما هي : ا أكبر ا أكبر ا أكبر أشهد